سلسلة الأعمال الكاملة

للإمام اليوسي في الفكر الإسلامي

①

القانون

في

أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم

تأليف

الإمام أبي المواهب الحسن بن مسعود اليوسي

المتوفى سنة 1102 هـ

تحقيق وشرح وتعليق وفهرسة وتقديم

حميد حمانـــي

الأستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الحسن الثاني عين الشق

1419 هـ — 1998م.

بسم الله الرحمن الرحيم

القانون

في

احكام العلم واحكام العالم واحكام المتعلم

عنوان الكتاب : **القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم**

المؤلف : أبو المواهب الحسن بن مسعود اليوسي.

المحقق : حميد حماني.

الطباعة والسحب : مطبعة شالة الرباط.

الطبعة : الأولى.

تاريخ النشر : نونبر 1998.

رقم الإيداع القانوني : 1378/أكتوبر 1998.

ردمك : X – 0 – 1982 – 9981.

الحقوق : جميع الحقوق محفوظة للمحقق.

الإهـــــداء

إلـــى روح جدنا الأكبر الإمام اليوسي ﷺ بروراً بوصيته لأولاده وأحفاده بالعناية بتراثه الأثيل.

إلـــى والدي وعمي رحمهما الله، إنجازا لوعد قطعته على نفسي زمن اليفاع، بمواصلة التحصيل، والإستزادة من نور الحق والمعرفة.

إلـــى ثمرة الفؤاد ابني عمـاد الديـن أصلحه الله وأمتع به، بسمة الأمل والطموح.

إلـــى مثال التضحية والوفاء ابن عمنا الأستاذ الأصيل السيد حسن مهليل.

إلـــى السيد الفاضل عبد السلام الرتابي، الكاتب العام لجمعية رباط الفتح، ورئيس الفيدرالية الوطنية لاتحادات جمعيات الأشخاص المعاقين بالمغرب، لمواقفه المشهودة معي، بدافع محبته الجامحة للعلم وطالبيه.

إلـــى الشغوفين بالعلوم الإسلامية دراسة وبحثا وتحقيقا.

حميـــد حمـانـــي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم، الذي تولاه ربه بالأدب فأحسن تأديبه، وبعثه معلما وهاديا للعالمين، ورضي الله تعالى عن صحابة رسول الله نجوم الظلم، الذين اهتدوا بهداه، وتعلموا في رحاب مدرسته القرآنية السنية، فاقتبسوا أنوارها، وضربوا في الأرض ناشرين دعوة النور والعلم.

وبعد، فبسرور نفسي فياض، يطيب لي أن أقدم كتاب "**القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم**" للإمام أبي علي اليوسي، وهو-كما يدل عليه اسمه- من أهم المراجع المغربية التي تناولت العلوم الإسلامية بشقيها: العقلي والكوني من جهة، والشرعي من جهة أخرى، تناولا اتسم بالعمق والشمولية.

فعقد الباب الأول لنشأة مختلف العلوم وتطورها، ومكانتها، وموضوعها، وأهميتها، ونشرها، وتلقيها، وأشهر العلماء المشاركين في كل فن منها، وما خلفوه من مصنفات. وخصص الباب الثاني لجملة الأحكام التي تتصل بالعالم من وجهة النظر الإسلامية، أدبا وسلوكا وممارسة، وإفتاء وتصنيفا ... أما الباب الثالث فقد أفرده لأحكام المتعلم، فغدا بحق دليلا وافيا، يرسم ما يجب أن يكون عليه حال طالب العلم في علاقته مع أستاذه، وآدابه في الدرس والأخذ عنه، وذكر الأسباب التي ينال معها العلم بإذن الله تعالى.

وكان سبب التزامي عليه، جملة أمور منها:

1- ما يلاحظ من قصور في تناول أعمال اليوسي في التفسير والفقه والأصول والكلام... بالرغم من وفرتها، وانصراف همم الباحثين إلى إنتاجه الذي يدخل في دائرة الأدب إن في مفهومه الخاص أو العام.

2- إعجابي بشخصية الإمام اليوسي، منشأه المحبة التي توثقت عراها منذ صباي، وأنا اختلف إلى مسجده للتعلم، حيث الكتاب القرآني لقرية "تمززيت"، وما كان يطرق سمعي مع مرور الزمن، من مواقفه العلمية المشهودة ومآثره العظيمة.

وهو ما سعيت إلى تجسيده عمليا، حين أتيحت لي الفرصة في صيف سنة 1979، لأساهم في تأسيس جمعية ثقافية تعنى بجمع تراثه وتحقيقه ونشره، سرعان ما تعطل سيرها وأصيبت بالجمود القاتل إلى اليوم، غير أن الأمل بقي مع ذلك يرودني، في أن أوفق بمفردي يوما ما، لإنجاز ما عجزت الجمعية المذكورة عن الإضطلاع به. وأصبح هذا الأمر شغلا شاغلا، انضاف إلى ما كان ينوء به كاهلي من هموم المستقبل والمسؤوليات العائلية، وأنا على وشك الإنتهاء من الخدمة المدنية.

ويسر الله الأسباب واشتغلت على فترات بالقطاع العام، والشبه العام، والخاص، ولم تستقر بي الأحوال وأنا أزاوج بين الوظيفة والدراسة، وظلت رغبتي مع ذلك تزداد قوة للسير قدما في إخراج الأعمال الكاملة لليوسي في الفكر الإسلامي.

وحتى يتسنى لي دخول البيوت من أبوابها، قاطعت الدراسات العليا بكلية الحقوق بالدار البيضاء، وشددت الرحال إلى دار الحديث الحسنية- حفظ الله بانيها وراعيها أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني- فتوجت سنوات الدراسة بها بالحصول على دبلوم الدراسات العليا في العلوم الإسلامية، في موضوع: " جانب العقيدة في فكر الحسن اليوسي- دراسة وتحقيق لبعض تراثه في العقيدة".

وكان هذا العمل أول باكورة على طريق فكر اليوسي اللاحب، مكنني إلى حد بعيد، من الإطلاع على إنتاجه في كل حقول المعرفة، بما تجمع لدي من تراثه المخطوط، والمطبوع طباعة حجرية وحديثة، دفع بي إلى أن أجعله في طليعة الموضوعات التي أدرت

عليها بحوث طلبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منذ الموسم الجامعي 1985/1986، في مجال التفسير والعقيدة والأصول...

ومن هنا تبدت الحاجة اليوم، إلى استثمار هذا المجهود المتواضع، حصيلة ما يقارب عشرين عاما من التنقيب و الجمع والبحث في تراث الإمام اليوسي، باعتبار التراث الإسلامي عموما، والمغربي خصوصا أصلا ومنبعا يعين على توجيه أسلم، وأكثر أصالة لأجيالنا، بما يزخر به من «قيم إيجابية ودلالات عميقة، من شأنها عند الإستلهام، أن تسهم بأكبر قسط في فهم أكثر جدة لقضايا عصرنا، وتشحن وجدان الأمة بدفقة حية من الشعور المرهف، والصادق بإمكانية تحقيق طفرة حضارية»[1].

فاليوسي كشأن طائفة من أعلام المغرب «يعتبر أحد أعلام المعرفة الكبار، الذي يعتز ويفتخر به الفكر المغربي الأصيل، لشمولية علمه، ورحابة معرفته، وتفتح ذهنه وحدة نباهته، وتمسكه بالمبادئ الإسلامية والوطنية، وإخلاصه لرسالته العلمية المثلى، التي نبهت إلى مدرسة ذات طابع متميز في التفكير والمنهج، وهي ظاهرة من الطاقة المتجددة حركت الفكر المغربي، ووثبت به إلى مناخ نشيط مبتغى»[2].

وفي هذا الإطار يأتي تأليف كتاب "القانون" من قبل الإمام اليوسي إيمانا منه بقيمة العلم، الذي اتخذه صنعة طوال حياته، وتقديرا منه لعواقب الجهل الوخيمة على الفرد والجماعة، وفي ذلك يقول: «إن طلب العلم والاشتغال بالتعليم نوع من الجهاد، بل هو الجهاد الثاني، بل هو أهم الجهادين، وذلك أن جهاد العدو مطلوب للدفع عن بيضة الإسلام، والعلم مطلوب لدفع الجهل عنهم، ثم إذا نظرنا وجدنا العدو لو تسلط على الأموال والرقاب، وهي أمور دنيوية لابد من فراقها، إما بذلك أو غيره، والموعد الآخرة،

1- دعوة الحق عدد: 248 ص: 2.

2- المناهل عدد: 15 ص: 11.

ولو تسلط الجهل عياذا با لله، لم تبق عقيدة صحيحية، ولا إيمان ولا عمل صالح، وهذا هو الهلاك الأبدي، الذي يستمر إلى الآخرة»[1].

واستنادا إلى هذه القناعة، فهو لا يتردد -كما تجلى من خلال القراءة الواعية لتراثه المنظوم والمنثور- في أن يطلق العنان لقلمه الساحر، ليحض على طلب العلم ونشره بكل الممكنات المتاحة.. كما هو الشأن في كتابه "البدور اللوامع في شرح جمع الجوامع"، الذي ألفه حين إقامته بالزاوية الدلائية منذ سنة 1065هـ إلى سنة 1079هـ وكتابه "الحاشية على شرح كبرى السنوسي" الذي ألفه سنة 1071هـ، وكتابه "زهر الأكم في الأمثال والحكم"، الذي انتهى من تأليفه سنة 1080هـ، واستهله بمقدمة امتدح فيها العلم، وكتابه "نيل الأماني في شرح التهاني"، الذي وضعه كشرح لقصيدته الدالية سنة 1077هـ، وكتابه "المحاضرات"، الذي شرع في تأليفه سنة 1095هـ، ورسالته الكبرى إلى المولى إسماعيل المؤرخة في سنة 1096هـ ، ثم فهرسته التي حصر الكلام عن العلم فيها في الفوائد: الخامسة، والسادسة، والسابعة، والثامنة، والتاسعة، والعاشرة، والحادية عشرة، والثانية عشرة.

وهي كلها تدور بسطا وإيجازا حول نفس الأفكار التي أفاض فيها القول في كتاب "القانون"، الذي يعد في رأيي امتدادا لها، وخاتمة الرحلة الطويلة مع العلم، على اعتبار أنه آخر ما خطته يراعته، قبل أن يرحل إلى دار البقاء قبل عشرة شهور تقريبا، وهي الفترة الفاصلة بين قراءته عليه من قبل ولده محمد العياشي، كما جاء على لسانه: «بلغت المقابلة إملاء على الشيخ الوالد وسردا عليه رحمه ا لله حرفا حرفا... صبيحة يوم الأحد آخر شهر صفر عام أحد ومائة بعد الألف»، وبين تاريخ وفاته يوم الإثنين 23 ذي الحجة عام 1102هـ.

وبذلك يكون كتاب "القانون" عصارة تجربة مريرة وطويلة، تعكس التطور الروحي والعاطفي للإمام اليوسي في مضمار العلم ومتعلقاته، وفي نفس الوقت جماعا لأشتاتها،

---

1 - رسائل اليوسي/1: 138.

وصيحة في سبيل الأخذ بأسبابها، تماما كما فعل الإمام ابن حزم الظاهري (ت: 456هـ) في "الرسائل"، والإمام أبو بكر ابن العربي (ت: 543هـ) في "الرحلة" و"العواصم من القواصم"، والحافظ ابن عبد البر القرطبي (ت: 463 هـ) في "جامع بيان العلم وفضله".

يقول اليوسي في الرد على من يتعلل بتحريم المنطق، بدعوى أنه من علوم اليهود مميزا بين فرضيتين: «فإن يعني أن اليهود يشتغلون به، فقد اشتغلوا بكثير من علومنا كالنحو وغيره، وإن كان يعني ليسوا مسلمين، فليس شرف العلم بحسب الواضع، بل بحسب الموضوع والغاية، وناهيك بغاية هذه الصيانة من الخطإ، وإلا فكثير من العلوم قد وضعها النصارى والمجوس والجاهلية، كالطب والتنجيم وغيرهما ولم يجتنبا. وما أجدر هؤلاء أن يقال لهم عليكم أن تجتنبوا آلات صنائعكم، لأن واضعيها اليهود والنصارى، وهم المشتغلون بها كثيرا، فإن لم يجتنبوها فاعلم أنما يتبعون أهواءهم».

ولا يملك الباحث في تراث اليوسي، إلا أن يقف منه موقف الإكبار لسعة أفقه، وبعد مراميه في زمنه، من خلال الحث على التعامل مع العلوم جميعا، مهما كانت طبيعتها ومصدرها، يكفي فيها أن تخدم المسلمين وتشد عضدهم، ولا تتعارض مع أصول معتقداتهم.

ومن تم حق لنا القول، أن هذه الصيحة التي أطلقها اليوسي، في مطلع القرن الثاني عشر الهجري، تعد النواة الأولى لتلك الكتابات التنويرية، والشعارات الصادقة التي لوحت بها الحركة السلفية، أو الفكر الإسلامي الحديث كما يطلق عليها أحيانا، لحث الشعوب العربية على النهوض من سباتها، بعد معاناتها من ليل بطيء الكواكب ،خيل معه للبعض منها أن الصبح ليس بقريب.

لذلك صح العزم مني، على أن يكون أول عمل من أعمال اليوسي الفكرية، يحظى بالتحقيق والتعليق والفهرسة، هو كتاب "القانون"، الذي كان الأستاذ السيد المهدي الوافي رحمه الله -قيدوم كلية اللغة العربية بمراكش سابقا- يود أن يخصه بالدراسة والتحقيق، حسبما أكده لي في إحدى المناسبات العلمية، جمعتني وإياه بالرباط في غضون سنة 1990.

هذا، ولا يفوتني وأنا أقدم لجمهور القراء المتعطشين، لعيون تراث أعلام الفكر المغربي الأصيل، على عهد الدولة العلوية الشريفة، هذا الكتاب الموسوعي لجدنا الأكبر الإمام اليوسي، أن أسجل كلمة تحية وتقدير، للسيد حسن مهليل بن محمد بن الغازي، الذي ذلل من الصعاب الشيء الكثير، مما يسر إخراج هذا العمل إلى حيز الوجود.

فما إن عرضت عليه ما تطلعت إليه همتي – بعد مشيئة الله السابقة، وربوبيته الهادية السائقة– من إبداء كتاب "القانون" وغيره للوجود، وإخراجه من خبايا الخمود، حتى سارع من منطلق محبته القوية لليوسي وتراثه، والسعي في خدمة مصلحة بلاده، فأعرب عن استعداده المطلق لتحقيق هذه الأمنية الفكرية، التي كانت ولا زالت من أعز الأماني لدينا جميعا، لطالما تمنينا بلوغها ونحن طلاب خلال السبعينات، بكل من كليتي الحقوق بالرباط والدار البيضاء، فأضحت اليوم بعون الله وتوفيقه في حكم الممكن، بعد أن كانت عزيزة المنال.

والله المسئول أن يسبغ علينا نعمة التوفيق والعون، لإنجاز هذه السلسلة من تراث اليوسي في الفكر الإسلامي كاملة.

وهذه مقدمة بين يدي الكتاب تشتمل على الآتي:

أولا: أصل اليوسي و أسرته و نشأته، وأبناؤه و أمواله.

ثانيا: إعداده الفكري وتكوينه العلمي وآثاره.

ثالثا: مكانته العلمية وثناء العلماء عليه.

رابعا: التعريف بكتاب "القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم".

خامسا: المنهج المتبع في تحقيق كتاب القانون، والنسخ المعتمدة في إخراج الكتاب.

أولا: أصل اليوسي و أسرته و نشأته، وأبناؤه و أمواله.

حقيقة أصل الشيء عند اللغويين «ما كان عليه معتمده، و من ثم سمي العقل أصالة، لأن معتمد صاحبه عليه، ورجل أصيل أي عاقل، وحقيقة أصل الشيء ما بدئ منه، ومن ثم يقال إن أصل الإنسان التراب»[1]، وعلى هذا يكون أصل الرجل في مفهومه الشائع، الأصول التي ينحدر منها، وتجري في عروقه دماؤها، فيكون حاملا لعناصر الوراثة في بعدها الديني والعرقي والسلوكي.

أما النشأة فهي الكيفية التي تمت بها تربية الفرد و نموه في وسطه الأسروي، بما يتميز به ذلك الوسط من عادات وتقاليد، وقيم، ونمط عيش.

ونظرا لأهمية هذه العوامل في حياة الإنسان، فإن اليوسي عقد فصولا خصبة للحديث عنها، وعن النسب خاصة، وفوائده التي من بينها «أن يعرف من يقف عليه من ذوي القرابة للتوصل إلى صلة الرحم، والموارثة والمعاقلة، وغير ذلك من الأحكام ... الثانية أن يعلم انقطاع النسب عند انتهائه إلى القرى ... الثالثة أن يعلم أن حفظ الأنساب ليس خصوصية للعرب، وإن كان لهم مزيد اهتمام بها، ومزيد ارتفاع همة»[2].

واعتمادا على ما كتبه اليوسي عن نفسه في هذا الجانب، وما ورد من نتف في المصادر التي ترجمت له، أسلط الضوء على أصله، وأسرته، ونشأته، وأبنائه، وأمواله:

1- الفروق في اللغة: 156.

2- المحاضرات/1: 37-43.

أصل اليوسي

عرف اليوسي بنفسه في كتابه المحاضرات بقوله: « أنا الحسن بن مسعود بن محمـد، بن علي بن يوسف، بن أحمد بن إبراهيم، بن محمد، بن أحمـد، بـن علـي، بـن عمـرو، بـن يحيى، بن يوسف، و هو أبو القبيلة، بن داوود، بن يدراسن، بن يننتـو، فهـذا مـا بعـد مـن النسب، إلى أن دخل بلـد "فركـلة"، في قريـة منـه تسمـى حـارة أقـلال[1]، و هـي معروفـة الآن»[2].

وأول ملاحظة تسترعي الإنتباه في عمود نسب اليوسي، هو ذلك البتـر والتحريـف لبعض الأسماء في النسخ الخطية لكتاب المحاضرات، وأمثل لذلك باسم "عمـرو" الـذي ورد في نسخة خزانة الرباط العامة رقم32 ج كذلك، بينما ورد في نسخة مخطوطة الخزانة العامة رقم20329 ك، ونسخة المخطوطة ملك العلامة اكنسوس[3] هكذا "عمر" المعدول[4].

أيضا كلمة "يننتو" وردت هكذا في نسخة رقم32 ج، بياء فنون فنـون أخـرى فتـاء مثناة بعدها واو، وفي النسخـة الخطيـة رقم20329 ك كتبـت "يلنتـو" بيـاء فـلام فنـون فتـاء فواو، وفي نسخة المرحوم أكنسوس "ينتنن" بياء فنون فتاء فنونين، بينمـا كتبـت في نسـخة الطبعة الحجرية (يلنتن) بياء فلام فنون فتاء بعدها نون.

وكذلك الشـأن في كلمـة "يحيى" التي حذفـت نهائيا مـن نسـخة الطبعـة الحجريـة، ووردت في النسخ الـخطية، وهي ملاحظة تدعو للوقوف عندها قليلا.

1- تعني باللسان البربري: حارة الشرفاء.

2- المحاضرات/1: 30.

3- المقصود به العلامة الوزير، الكاتب، الشاعر، المؤرخ أبي عبد الله محمد بـن أحمـد اكنسـوس (ت: 1294 هـ)، صاحب كتاب الجيش العرمرم. شجرة النور الزكية: 404.

4- من جملة الأعلام: اسم العلم الممنوع من الصرف: المعدول، كعمر المعدول عن عامر. راجـع بـاب الممنوع من الصرف.

وقد ذهب الكتاني في هذا الإتجاه، إلى حد التحريف المكشوف في سلسلة عمود نسب اليوسي، مما حمل الأستاذ علال الفاسي -رحم الله الجميع- على القول : ومن المفيد أن ننبه هنا إلى تحريف ارتكبه الشيخ الكتاني في الفهارس، فإنه حين سرد عمود نسب أبي علي، وقف عند يوسف بن أحمد وقال: «ومن العجيب أن المرتجم له في محاضراته، لما ذكر أنه ابن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف، قال: وهو أبو القبيلة وهو عجيب، فإن جده يوسف هذا رابع الآباء، ومع قربه من زمنه تفرعت منه خلائق، وأنت ترى في التعدد الذي سقناه عن المحاضرات نفسها، أن يوسف أبا القبيلة ليس هو رابع الآباء، بل هو الثاني عشر منهم، فهل يبلغ حب الإغراب إلى التحريف؟»[1].

ومنشأ الخطإ عند الكتاني هو ما نقله عن القادري من غير تنبيه منه على ذلك، فقوله: «وهو عجيب فإن جده يوسف هذا رابع الآباء...» عبارته هذه شبيهة بعبارة القادري الذي قال: «وهذا عجيب، فإن جده يوسف هذا هو رابع الآباء، ومع قربه من زمنه تفرع عنه خلق كثيرون، فإن قبيلته اليوم كبيرة جدا، ولا عجب في أمر الله»[2] مع أن الفارق الزمني بين عصر القادري وعصر الكتاني يقدر بسنين عددا.

ثاني ملاحظة: ذكر اليوسي لاسم البلدة التي ينتمي إليها، وهي بلد "فركلة" في قرية منه تسمى "حارة أقلال"، التي ورد ذكرها أيضا عند الحسن الوزان حين وصفها بقوله: «دائرة أخرى مأهولة، على نهر صغير يكثر فيها كذلك التمر وغيره من الفواكه، لكن الحبوب لا تنبت فيها إلا بقدر قليل جدا، وهناك ثلاثة قصور وخمس قرى بعيدة بنحو مائة ميل عن الأطلس، وستين ميلا عن سجلماسة، وسكانها خاضعون للأعراب»[3].

1- مجلة المناهل عدد :15 هامش ص: 16.

2- نشر المثاني/1: 16.

3- وصف افريقيا/2: 130.

فهي إذن من بلاد الصحراء، زاد الأستاذ حجي موقعها بيانا بقوله «فركلة اسم لأحد روافد نهر غريس، يسقي واحة أسرير الواقعة على بعد نحو عشرين كيلومترا غربي كَلميمة»[1].

وهو ما ذهب إليه أيضا صاحب الموسوعة المغربية، حين بحثه في أصول قبيلة آيت يوسي، التي تنحدر في -رأيه- من تافيلالت بالصحراء «وقد استقر منهم منها في ناحية صفرو بحوز فاس، وإليهم ينتمي العلم أبو علي الحسن اليوسي»[2].

فقبيلة آيت يوسي ترخيم يوسف بالبربرية، توجد مساكنها حاليا جنوبي عمالة إقليم صفرو[3]، الذي أحدث بمقتضى المرسوم رقم: 90-291 الصادر في 14 من جمادى الأخيرة1411 هـ (فاتح يناير1991)، والمتعلق بتغيير وتتميم الظهير الشريف رقم: 351-59-1 الصادر في فاتح جمادى الأخيرة 1379 هـ (2 دسمبر 1959) في شأن التقسيم الإداري للمملكة الذي أحدثت بمقتضاه ولاية فاس، التي تتكون زيادة على إقليم صفرو من عمالات: فاس الجديد-دار الدبيبغ، فاس المدينة وزواغة-مولاي يعقوب.

ونظرا لشساعة الرقعة الترابية لقبيلة آيت يوسي، فإن من دوائرها ما هو تابع لعمالة إقليم صفرو، وما هو تابع لعمالة إقليم بولمان، وتنقسم إلى ثلاث قبائل فرعية:

1- آيت يوسي دائرة أمكلا (مقلاته)[4] وتقع في الشمال بطونها:

1- الحركة الفكرية/2: 527.

2- الموسوعة المغربية، معلمة المدن والقبائل، ملحق: 2. ص: 2.

3- ينقسم إقليم صفرو في الحقيقة إلى 23 جماعة: منها 5 جماعات بلدية. و18 جماعة قروية. ولكن نظرا لخلو يدي حتى الآن من التقسيم الإداري المعمول به حاليا، فإنني اكتفيت بالتقسيم الإداري أعلاه المنجز برسم سنة 1991 والمنشور ضمن كتاب منوغرافية إقليم صفرو.

4- من الأعلام المنتسبين إليها: أبو الحجاج يوسف بن محمد بن المعز المكلاتي (550-626 هـ)، عاصر المنصور الذي صحبه في أول سفرة له إلى الأندلس، بلغ مكانة رفيعة في العلم ومن كتبه: "لباب العقول في الرد على الفلاسفة في علم الأصول" الذي تم تحقيقه بعناية الدكتورة فوقية حسين.

"آيت عيسى بن الحسن"، و"مكلاتة" (أمكلا)، و"شربانة"، و"العناصر"، و"البقعية"، و"سيدي خيار"، و"سيدي يوسف"، و"تازوطة"[1]، و"مزدغة"[2]، و"عزابة"، و"زكَان"[3]، و"سيدي لحسن »[4]، و"الزراعة"، و"البسابيس"، و"بنو يازغة »[5].

2- آيت يوسي "كَيكَو" تقع في الوسط بطونها:

"بني حمزة"، و"بني حلي" دائرة بولمان، و"بني حلي دائرة كَيكَو"، و"بني كايس".

3- آيت يوسي دائرة "انجيل" في الجنوب بطونها:

"بني عثمان"، و"آيت بن عامر"، و"آيت ابن موسى"، و"آيت الرامي" و"آيت لحسن"، و"آيت الختيرين".

وينضوي تحت لواء قبيلة آيت يوسي البرابرة والأعراب، فليس كل بطونها كما توحي التسمية عبارة عن برابرة أقحاح، بل منهم من هو من أصل عربي، فوثيقة البيعة التي

1- تزوطة بلدة مبنية على ربوة عالية جدا، وكان مؤسسو تزوطة من أسرة بني مرين قبل أن يصبحوا ملوك البلاد، يحفظون فيها حبوبهم وأمتعتهم. وصف افريقيا/1: 342.

2- إليها ينتسب أبو الحجاج يوسف بن عمران المزدغي (ت: 655هـ)، أخذ العلم بفاس ورحل إلى الأندلس لنفس الغاية. له: "عقيدة"، و"شرح الأحكام"، و"أرجوزة في علم الأصول". شجرة النور الزكية: 199 - النبوغ المغربي/1: 156

3- يجاور هذا الجبل جبل صفرو غربا، و يمتد جنوبا إلى الجبال التي تحادي نهر ملوية، وينتهي شمالا في سهول إقليم فاس. وصف افريقيا/1: 362.

4- المقصود به سيدي لحسن اليوسي موضوع دراستنا، وأحفاده الذين يشكلون بطنا خاصا بهم اليوم، يسكنون أربعة مداشير، في نطاق تراب جماعتهم القروية الجديدة، حسب التقسيم الإداري الأخير، كما سيأتي التعريف بهم لاحقا.

5- من أعلامها المشهورين: أبوجيدة بن أحمد اليازغتي، نسبة إلى بني يزغتن (ت: 362 هـ)، وهو الاسم التي كانت تعرف به قديما. عاش بفاس، بلغ درجة رفيعة في العلم والفقه والصلاح. وكذا أبو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي (ت: 543هـ)، عالم كبير تولى التدريس بدمشق، من مؤلفاته "تهديب المسالك في نصرة مذهب مالك". شذرات الذهب/4: 436 - تذكرة الحفاظ/4: 1297.

خطها وجهاء وأعيان قبيلة آيت يوسي، وعقدوها للسلطان مولاي الحسن الأول، تحمل عددا من الأسماء ذات أصل عربي، ويعود تحرير عقد البيعة المذكورة إلى يوم 8 شعبان عام 1290هـ، و أصل البيعة اليوسية محفوظ بمديرية الوثائق الملكية[1].

وعلى هذا الأساس، وإذا سلمنا بأن آيت يوسي صنهاجية من أصل عربي، فهل يمكن اعتبار اليوسي كذلك؟ وبخاصة حين تتظافر بعض الإشارات الواردة عرضا في مواضع متفرقة، توحي بأن اليوسي من أهل النسب، ومن ذلك مثلا:

– الإشارة الأولى:

يقول اليوسي: «ومن غريب الاتفاق أني كنت أكتب ما تقدم من النسب، فجاء أعرابي بقصيدة من الملحون يمدحني بها، وفي أثنائها يقول ما معناه: إن اسمه، أي الممدوح، على اسم الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقلت في نفسي: سبحان الله في هذا كان عملي»[2].

– الإشارة الثانية:

جاء في كتاب "مصابيح البشرية في أبناء خير البرية" ما نصه: «الشرفاء أولاد سيدي سليمان بن عبد الله، بن محمد المكنى بأبي راس، يوجد ضريحه ببلاد أغمات حوز مراكش، وأصله من الساقية الحمراء. يوجدُ أبناء عمومة لهم بفجيج، والجزائر الشقيقة، ينحدرون ـ كما سبق ـ من جدهم سيدي سليمان، بن عبد الله، بن محمد المكنى بأبي راس بن عبد الرحمن، بن عبد الحق، بن عبد الجبار، بن عثمان، بن عمرو، بن علي، بن عبد الله، بن عبد الرحمن، بن سليمان، بن عبد الصادق، بن إبراهيم، بن عبد الحليم، بن عبد العظيم، بن بلمان، بن محمد، بن إسماعيل، بن علي، بن عبد العزيز، بن محمد، بن

1– عدد المبايعين المنتمين إلى النسب 27 من أصل 46، انظر نص وثيقة البيعة كاملا في "الوثائق الملكية" المجموعة الثالثة، سنة 1976 ص: من 23 إلى 235.

2– المحاضرات/1: 33.

سالم، بن محمد، بن هاشم، بن محمد، بن مزوار، بن محمد الشمس، بن هلال، بن عمران، بن يحيى، بن المولى إدريس الأزهر، بن المولى إدريس الأكبر إلى مولانا رسول الله ﷺ. ومن أبناء عمومتهم: أولاد الشقيري. آيت يوسي. منهم العلامة سيدي لحسن اليوسي دفين أحواز صفرو[1].

– الإشارة الثالثة:

ما ذكره الكتاني نفسه في "فهرس الفهارس"، بقوله: «والمترجم يشعر في رسالته الكبرى للسلطان أبي الأملاك المولى إسماعيل، بأنه من أهل النسب والله أعلم»[2]، ولست أدري أين اهتدى الكتاني لهذه الملاحظة في الرسالة الكبرى أو "جواب الكتاب" كما تسمى أيضا، فقد قرأتها مرارا، و لم يستوقفني شيء مما ذكره، اللهم إلا ما كان من الفقرة المتعلقة بالرد على ما جاء في رسالة السلطان، حين نسب الكُتّابُ اليوسي إلى الأصل البربري، فأجاب قائلا: «و قول الكتاب: فأراك رجلا بربريا، فأقول: نعم هو ذاك في الظاهر، و الأصل يعلمه الله»[3].

فهل معنى هذا أن اليوسي كان بربريا في الظاهر فقط، بحكم ولادته ونشأته في وسط بربري؟، كما أقر هو بذلك أيضا، حين قال في معرض بيان اهتمام البربر بالأنساب، وأن ذلك ليس خصوصية للعرب: «و كنت أنا قبل أن أخالط قومي أظن ذلك وأقول: إن العجم إنما هم كالمعزى ليس بين الأم وبين ولدها عهد، إلا أن يرعى فيذهب حيث شاء، وأما الأب فلا سؤال عنه، فلما باحثت قومي في هذا، ألفيت الأمر

1– مصابيح البشرية في أبناء خير البرية/1: 269–270.

2– فهرس الفهارس/2: 1155.

3– رسائل اليوسي/1: 213.

على خلاف ما كنت أظن، ووجدتهم يحفظو أنسابهم كما مر، وإذا فيهم نسابون يحققون الفصائل والشعوب، على نحو ما كانت العرب تفعل في أنسابها»[1].

- **الإشارة الرابعة:**

ما ورد في الصفحة الأولى من ديوان اليوسي الشعري، ونصه: «هذا ديوان العالم الكبير، العلامة المحقق المحرر الشهير، أديب العلماء، وعالم الأدباء "الشريف" أبي علي سيدي لحسن اليوسي»[2].

فهل اعتمد مسؤولو المطبعة، في تحليته "بالشريف" على دليل ثبت لديهم؟

- **الإشارة الخامسة:**

ما ذهب إليه العلامة أبو العباس أحمد بن محمد الهشتوكي[3] في تلقيبه "بمولاي" وذلك بقوله: «فارس المعقول والمنقول، العالم الرباني، بحر المعارف والعلوم والمعاني، عمدة المسلمين، وخاتمة المحققين، مولاي أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، نفس الله في عمره للإسلام»[4].

ولقب "مولاي" هذا، ورد أيضا على لسان العلامة ابن زاكور[5]، في كتابه "نشر أزاهير البستان" بقوله فيه: «حبر الأحبار، وجهينة الأخبار، وزين القرى والأمصار، العديم النظير في سائر الأقطار... مولاي أبو علي سيدي لحسن بن مسعود اليوسي»[6].

1- المحاضرات/1: 43.

2- الديوان الذي طبع بفاس على الحجر.

3- سترد ترجمته لاحقا كتلميذ لليوسي.

4- الدرر المرصعة: 38.

5- سترد ترجمته لاحقا كتلميذ لليوسي.

6- نشر أزاهير البستان: 88.